

العبادة لدى الشاة ولى الله الدهلوى

الاستاذ عبدالواحد هالى پوتنا

سدير مجمع البحوث الاسلامية، اسلام آباد

ان فكرة العبادة فى الاسلام واسعة جدا، وليست هى كما يعتقد الناس عامة، منحصرة فى الاركان الاربعة فقط بل تشمل جميع مجالات الحياة اذا كان الانسان سطيحا لله فى جميع اعماله، فحياته كلها عبادة . ان مسألة العبادة قد وقع فيها ليس كثير، فتضاربت فيها الانظار، و تشعبت الآراء، فبعضهم يرى ان العبادة هى غاية التذلل فى طاعة الله، و بعضهم يعتقد انها تحيط بجميع الاعمال الصالحة، و بعضهم يظن ان الدين كله عبادة . وقد عنى الشاه ولى الله الدهلوى بهذه الفكرة كبير عناية، و كتب فيها بكل شرح و بسط فى بعض مؤلفاته، و نحن نلخص فى مقالنا هذا وجهة نظره فى هذا الموضوع الهام .

ان الانسان اذا عرف ربه ورأى النعم كلها فائضة منه على ظاهره و باطنه، احبه محبة سمزوجة بالتعظيم والتذلل له، و سببه ان الانسان بل البهائم مجبول على حب المنعم المتكامل له بمرافقه (١) فالعبادة حتى الله تعالى على عباده، وانهم مطالبون بالعبادة من الله تعالى بمنزلة سائر ما يطالبه ذووالحقوق من حقوقهم (٢) .

و هناك اتصال بين الجوارح والقلب — والجوارح تتحرك حسب تأثير القلب — فانك ترى ان البهيمة اذا شعرت الكبر فى قلبها رفعت عنقها، و اذا دخل العجز والانتقياد فيها خضع عنقها— و كذلك يفعل الانسان فى حالة

الغضب . و اذا دخل في قلبه السحبة المزوجة بالتعظيم، يتذلل و يعفرخده و يسجد جبينه (٣)

ر يقول الشاه ولي الله ان العبادة تعظيم لله تعالى في غاية، و ادراك انه متعال عن الخلق (الناسوت) و عما يشابهه و يماثله بل له فضل لا يقاس — فيتذلل الانسان بضرورة هذا الاعتقاد تذلا هو اقصى غاية التذلل والانقياد و يسمى بالعبادة . (٤) و اعلم ان العبادة بوجهين . الاول انعقاد التعظيم في القلب، و استزاج اللفة بالتعظيم والتذلل بازائه، والثاني رفع الحاجة اليه، و سهما اشتدت حاجته في قلبه اشتد الخضوع له (٥) .

ان انواع العبادات و اصناف التعظيم كثيرة، واكثرها وقوعا وادخلها في طبائع الناس و ضمائرهم، و اشهرها في الناس، مسلمهم و كافرهم، انور . منها الصلوة، و حقيقتها افعال و هيئات يندفع اليها الانسان اذا استلأ صدره تعظيما وانقيادا او رفع حاجة سلحة تطلبها النفس من ولي النعمة . والوجه هو اشرف الاعضاء في بدن الانسان، و يضح الانسان جبينه على وجه الارض في غاية التذلل و هذا هو السجدة لله تعالى، واما الركوع فهو الانحناء المفرط، لان تنكيس الرأس هو علامة الخضوع والانقياد، ثم القيام بين يديه . واحسن الصلوات ما جمع تلك الهيئات .

و منها الدعاء، و حقيقتها اقوال يندفع اليها الانسان عند معرفة ربه بعظمته و جلاله او يضطر اليه عند انجاز احتياجه من جلب نفع او دفع ضرر من ولي النعمة — و للدعاء عشر صيغ بالاستقراء، لا اله الا الله، والله اكبر، و سبحان الله، الحمد لله، و التعوذات، والمسألة، والتوكل، والخضوع، والاستغفار، والتوبة والتبرك باسمه .

و منها الصوم، و حقيقته ان الانسان اذا احب احدا حبا شديدا، هانت عليه شدائده و متاعبه و اراد ان يعانيتها بمرأى منه و بمسمع، وان يبذل محبته و سواهبه في سبيله علما منه ان يرضى بذلك - و اختار بعضهم اشق المتاعب مما فيه تغيير لخلق الله، و لكنه جهالة . و جادة الاسلام بين لين و شدة، و هي جادة معتدلة . و وقت الصوم وقت غلبة الانقياد، و يحصل الانسان على حالة الانقياد والخضوع بواسطة الصوم .

و منها الزكوة و حقيقته ان يكابد الانسان يبذل امواله لاجل معبوده . والاعتناق ملحق به، و كذلك الذبح، فاذا أهمته الكارثة و فزع الى الله تعالى في كشفها قدم صدقة، او عناق، او قربانا .

و منها الحج و حقيقته ان من طبيعة الانسان ان يشتاق الى زيارة بعض المواضع التي تظهر فيها آثار معبوده مثل نزول البركة، و يذكر فيها ربه - و لكل قوم موضع يحجون اليه، اما بيت، واما بحر، واما شجرة، أو بادية او قبر، او سقيفة، وقع فيها آثار حسنة، و اجتماعات متبركة - و الاسلام اختار الكعبة الحرام لحج المسلمين - و خلق الذكر والمساجد و سواضع الصلوات والدعوات اتيانها نوع من الحج . و اشرف اوضاع الحج ان يقصد مسجد فيه آيات بينات بغاه الرجل الصالح المشهود له بالخير على السنة الاسم قاطبة بامر الله تعالى واذنه، بعد ان كان الارض قفرا و عرا لا يستأهل للسكون - وهو بيت الله الحرام في مكة المكرمة يحج اليه المسلمون كل عام .

و منها الايمان فتحقيقها توكيد العزم في بعض افعال العبد بذكر اسم المعبود عليه، فان الانسان جبل على الاستنكاف من ان يذكر محبوبه على عزم ثم

يخصى ذلك العزم، و لذلك ترى ان الانسان مطبوع على الحلف لمحبوبه - وأما النذور فتحقيقها ان سن طبيعة الانسان انه اذا همه نائبة و فزع بها استحققر فى جنبها المال و تكابد، فاذا كان معظما لمحبوبه اسرع الى البذل له واليه ثم استنكف ان يعصيه و منها استماع اخبار المعبود و تلاوة كتاب يذكر فيه صفات المعبود و آياته، و الرجل يفطر عند هيجان الحب الى تذكر المحبوب والاصغاء الى اخباره . و بالجملة فهذه سبعة انواع من العبادات لا نجداسة من اسم الناس وهى تدين بها و يعتقد ها على اختلاف معبوداتهم و تباين سننهم فى اقامة العبادات . (٦) والعبادة، كما قال الشاه ولى الله سابقا، هى حق الله على عباده . و على هذا ينبغى ان يقاس حق القرآن، و حق المولى، و حق الوالدين، و حق الا رحام، فكل ذلك حق نفسه على نفسه، لتكامل كما لها، ولا يقترف على نفسها جورا . (٧) و قصارى الكلام ان العبادة، لدى الشاه ولى الله الدهلوى رح، هى اظهار الشكر للمنعم والامتنان للمنان بكل خضوع و اتقياد . و يظهر هذا الشكر فى جميع اعمال الحياة اذا كانت متقادة لله تعالى .

تعليقات

- (١) الشاه ولى الله الدهلوى . البدور البازعة - حيدرآباد .
اكاديمية الشاه ولى الله الدهلوى، ١٩٧٠ م ص ١٥٥
- (٢) الشاه ولى الله الدهلوى، حجة الله البالغة ص ٦٧
- (٣) البدور البازعة ص ١٥٦
- (٤) نفس المصدر ص ١٦٣
- (٥) نفس المصدر ص ١٥٧
- (٦) نفس المصدر ص ١٥٦ - ١٦٢
- (٧) حجة الله البالغة ص ٧.